الفصل الثالث

في الصباح التالي، شاهد الملك ليوديجرانس — عاجزًا — وصول الدوق موردونت وبصحبته ستة فرسان واعدين، والعديد من الرسل وحاملي الدروع. واحتشد جمع من الناس لمشاهدة المعركة العظيمة.

لكن ليوديجرانس كان يحدث نفسه بأنها لا يمكن أن تكون معركة عظيمة وهو لا يملك أي فرسان لمبارزة رجال دوق شمال آمبر. لقد اعتاد أن يكون عنده فرسان في بلاطه منذ زمن طويل، لكن منذ أن أمسك الملك آرثر بزمام الحكم وعمّ الأرض السلام، والفرسان قد رحلوا إلى حيث هناك احتياج لهم.

ولمّا رأت الليدي جوينيفير والدها هكذا، حثته على ألا يفقد الأمل؛ فبطريقة ما، لديها شعور بأن …

في اللحظة التالية مباشرة، شاهد الجميع الفارس الأبيض الغامض وهو يعود إلى المدينة، ووراءه في منظر رائع الفرسان المشاهير الأربعة — سير جيواين، وإيواين، وجيراينت، وبيلياس — الذين يعرفهم الجميع بالفعل.

همست جوينيفير: «لقد نجونا.» وكأنهم قد سمعوها، رفع الملك آرثر والفرسان الأربعة مناديلهم في تحية لها وهم مارون تحت برجها.

قال دوق شمال آمبر في توتر: «لقد أعطيت هذا الفارس الأبيض شرف أن قاتلته من قبل دون أن أعرف اسمه أو منصبه. لكن هذه معركة أكثر جدية، فإذا أراد أن يقاتلني، فليكشف عن هويته!»

قال سير جيواين مؤكدًا: «هو ليس بارعًا فحسب بالدرجة التي تمكنه من قتالك، وإنما أؤكد لك أنه هو من أعطاك شرف قتاله.»

حاول الدوق مرة أخرى التنصل من القتال فقال: «حسنًا، أنتم خمسة رجال فحسب، فلن تقووا على سبعتنا، لذا لن أحاربك!»

قال جيواين: «من فضلك، ثق في حينما أقول لك إن خمستنا هم خصم مكافئ لسبعتكم.»

احمر وجه الدوق موردونت خجلًا، وبدأ القتال الذي انتهى سريعًا جدًّا. وكما أكد سير جيواين كان الخمسة أقوى من السبعة. انهزم موردونت ومات في واحدة من أشهر المعارك في تاريخ حكم الملك آرثر.

وتهلل شعب كاميليارد واحتفلوا بانتصارهم العظيم، وأرادوا أن يحتفوا بالفارس الأبيض، لكنه اختفى مرة أخرى تاركًا لهم الفرسان الأربعة ليهنئوهم.

غير أنه في الصباح التالي بدا أنهم جميعًا احتفلوا مبكرًا جدًّا. فبدلًا من أن يستسلم الملك رينس، زوّد مطالبه. ففي رسالة بعث بها مع أحد الرسل لم يأمر الملك ليوديجرانس بتسليم الأرض فحسب وإنما أيضًا أن يسلم الفارس الأبيض الذي قتل الدوق موردونت.

وجاء رد الملك ليوديجرانس بفخر بالغ إذ قال: «أخبر ملكك أنني لن أسلمه ورقة عشب واحدة من أرضي، ولن أسلمه الفارس الأبيض، حتى لو كنت أعرف من هو هذا الفارس!»

وتنهد الرسول؛ فمن الواضح أن الملك رينس كان قد توقع هذا الرد لأن الجزء التالي من الرسالة كان يفيد بأن الملك رينس سيأتي قريبًا ومعه جيش عظيم للاستيلاء على ما أراده بالقوة.

استدعى الملك ليوديجرانس جوينيفير وقال: «لقد أنقذنا البطل الأبيض العظيم مرتين حتى الآن. يقول الناس إن هذا البطل هو المحارب الخاص بكِ وأنه كان يرتدي العقد الخاص بكِ أثناء القتال. هل هذا صحيح؟»

احمر وجه جوينيفير وأومأت برأسها إيجابًا.

قال ليوديجرانس: «إذن، أرجوكِ يا ابنتي أخبريني، أين نجده؟ نحن في حاجة إلى مساعدته مرة أخرى! وها أنتِ قد بلغتِ سن الزواج وفي حاجة إلى زوج؛ شخص يحمي مملكتنا من أعدائها!»

قالت جوينيفير: «أبي، سوف أقودك إلى الرجل الوحيد الذي له علاقة بكل ما أعرفه.» وعندئذ أخذت والدها إلى الصبي البستاني مباشرة.

سألها الملك ليوديجرانس وقد تجمع حولهما أيضًا الفرسان العظماء الأربعة: «ما هذا يا ابنتي؟ هل تهزئين بي؟ هل هذه مزحة؟»

طلبت جوينيفير من الصبي البستاني أن ينزع قبعته. ونزع آرثر قبعته، فعرفه الملك ليوديجرانس على الفور وناداه باسمه. انحنت جوينيفير في رهبة فهي لم تكن تعرف أن الفارس الذهبي الذي رأته هو نفسه الملك آرثر. يا للهول! لقد تذكرت جوينيفير في الحال الطريقة التي كلمته بها وكيف سخرت منه!

غير أن آرثر أوقفها منتصبة وأخبرها أنه يحبها، وسألها هل تبادله الحب أيضًا أم لا. (أخبرته أنها أيضًا تحبه)، فقبلها آرثر، (وقبلته هي أيضًا). وشن الملك رينس الحرب التي توعد بها، غير أنه لم يكن ليصل إلى قوة الملك آرثر ورجاله. وبعدها بوقت قليل، وضع كل من آرثر وجوينيفير خطط زواجهما.

أعطى الملك ليوديجرانس هدية زواج للملك آرثر، وبناء على اقتراح من ميرلين، كانت الهدية قطعة أثاث مميزة للغاية؛ وهي الطاولة المستديرة التي كانت قد صُنعت أصلًا من أجل والد آرثر، وهي عبارة عن طاولة مستديرة هائلة الحجم تضم خمسين مقعدًا. ومن سمات هذه الطاولة أنه عندما يظهر الفارس المناسب ويأخذ مقعده حولها، يظهر اسمه محفورًا بالذهب على مقعده بطريقة سحرية، وعندما يتوفى هذا الفارس تختفي حروف اسمه الذهبية في الحال.

وأخبر ميرلين آرثر أن ثمة مقعدًا وسط هذه الخمسين، مقعدًا مختلفًا عن الباقين؛ وهذا المقعد معروف باسم «المقعد المحفوف بالخطر»، وقد سُمي بهذا الاسم لأنه إذا جلس عليه أي فارس آخر بخلاف هذا الفارس الحقيقي الذي وُضع من أجله، فإنه يموت ميتة مفاجئة وعنيفة.

وعندما مات الملك يوثر بيندراجون، ترك هذه الطاولة لصديقه الملك ليوديجرانس. وقد جلس عدد قليل من الفرسان حول هذه المائدة بعض الوقت، لكن كل الفرسان رحلوا مؤخرًا، فأُبعدت هذه المائدة العظيمة إلى الطابق السفلي، بلا استخدام لأنه لا حاجة إليها.

أكد ميرلين: «هذه الطاولة ستزيد بهاء ملكك، ولن ينسى الناس اسمك أبدًا.» ولمّا سمع آرثر هذه الكلمات من ميرلين استدارت عيناه من فرط الحماس كاستدارة الطاولة؛ فالطاولة والمجد العظيم سيكونان من نصيبه.

خاتمة

تزوج الملك آرثر والليدي جوينيفير في يوم رائع من أيام فصل الخريف في احتفال بالغ الفخامة؛ فقد زُينت المملكة بزينة جميلة كأنما العالم كله يتلألأ بالألوان الزاهية. ولمّا أعلنهم رئيس أساقفة كانتربيري زوجًا وزوجةً، قُرعت الأجراس في كل أنحاء البلاد. وكان الملك والملكة يشعان بهاءً كما الشمس والقمر.

وفي هذا اليوم أيضًا، ملأ ميرلين مقاعد الطاولة المستديرة رسميًّا. فقد استخدم ميرلين سحره تارة ومهارته تارة أخرى في إحضار الطاولة من الدور السفلي، وبناء سرادق حولها ليحفظ قطعة الأثاث الشهيرة، وصناعة أسوار السرادق من الذهب وزخرفتها بأشكال القديسين والملائكة. وقد صنع في السقف لوحة بدت كالسماء الزرقاء المليئة بالنجوم، وصنع تحت أرجل الفرسان أرضية رائعة من أفضل أنواع الرخام.

كان آرثر على وشك أن يجلس على المقعد «المحفوف بالخطر»، لكن ميرلين أمسكه عن فعل هذا، وقال: «كلا يا مولاي. لا يوجد سوى رجل واحد على وجه الأرض هو الذي يستطيع أن يجلس على هذا المقعد، وهذا الرجل لم يُولد بعد. وأشار ميرلين إلى آرثر كي يجلس على المقعد المواجه بالضبط للمقعد «المحفوف بالخطر»؛ المقعد الذي كان جميلًا أيضًا، فقد كان أطول من سائر المقاعد ومزخرفًا بنقوش أروع منها جميعها. قال ميرلين: «انظر أيها الملك، هذا هو المقعد الملكي، الذي يعتبر المقعد المركزي، لأنك أنت بحق مركز كل ما هو جدير بالفروسية الحقيقية.»

وفيما جلس آرثر، ظهرت حروف من ذهب كما لو كانت قد حُفرت في الحال في المقعد: «الملك آرثر».

شعر آرثر بالحماس الشديد. فصفق بيديه ليدعو الفرسان العظام الكثيرين الذين دعاهم ضيوفًا لحضور عرسه ليلتفوا حول طاولته الرائعة والأنيقة.

غير أن ميرلين نهاه مرة أخرى، وقال برفق: «لا يا مولاي. فمع أنك دعوت أنبل فرسان في العالم، فلن تمتلئ طاولتك بالتمام اليوم.» غير أن ميرلين أكد لآرثر أن طاولته ستمتلئ قريبًا جدًّا. سار ميرلين وسط المدعوين واختار اثنين وثلاثين فارسًا فحسب ممن يستحقون نيل هذا الشرف حتى الآن. فكان من بين من اختارهم سير بيلينوري، وسير جيواين، وسير إيواين، وسير أولفيوس. ولكي يحفظ وعد آرثر لوالده أيضًا، اختار سير كاي. ملأ ميرلين الاثنين والثلاثين مقعدًا سريعًا.

وبعد ذلك، تمكن ميرلين أن يملأ معظم المقاعد المتبقية. غير أن المقعد الذي عن يمين الملك آرثر ظل شاغرًا، وكذلك المقعد «المحفوف بالخطر».

نصح ميرلين الملك قائلًا: «كن صبورًا يا مولاي. سيأتي صاحبا هذين المقعدين في التوقيت المناسب، ولسوف يكونان أعظم فارسين في العالم.»

وعندئذ، بعد أن كادت الطاولة تمتلئ، نهض كل الفرسان، وشهروا سيوفهم، وتلوا في تناغم مهيب الكلمات التي ستصير فيما بعد شعار فرسان الطاولة المستديرة: «نحن فرسان الطاولة المستديرة، سنترفق بالضعيف، ونتعامل بحسم مع القوي، وبوحشية مع الشرير. سندافع عن العاجز، ونصون جميع النساء كالمقدسات، ونرحم جميع الرجال، ويدافع بعضنا عن بعض ويؤازر بعضنا بعضًا حتى النهاية.»

وأقسم كل رجل على صدق تعهده، ثم قبل نصل سيفه كي يختم قسمه. وكانت هذه قصة نشأة الطاولة المستديرة.

كتاب ثلاثة من النبلاء

مقدمة

قد تسأل ما المقصود بالنبلاء؟ سؤال جيد. النبلاء هم ثلاثة من اللوردات المميزين والموقرين للغاية في بلاط الملك آرثر، وهم: الحكيم ميرلين، وسير بيلياس، وسير جيواين، وفي هذا الكتاب سنتناول قصة كل فرد منهم، واحدة تلو الأخرى.

الجزء الأول

قصة ميرلين

الفصل الأول

أتينا بالفعل على ذكر ميرلين بصفته عونًا ومغيثًا للملك آرثر. لكن ميرلين نفسه له قصة أيضًا، قصة رجل شديد الحكمة، لكنه مع ذلك شديد الضعف أيضًا، حتى إنه ينخدع هو نفسه في نهاية الأمر. أنصت كيف حدث هذا وتعلم منه.

في إحدى المعارك الطويلة والخطيرة مع خمسة ملوك، فقد آرثر ثمانية فرسان عظماء. وبعد فترة من الحزن، اضطر آرثر أن يختار ثمانية رجال آخرين ليملئوا المقاعد الثمانية في الطاولة المستديرة.

عقد آرثر العزم على أن يختار أربعة فرسان قدماء مهرة، وأربعة فرسان جدد، وهكذا سار الأمر إلى أن تبقى مقعد واحد، واحتار بين فارسين على هذا المقعد؛ سير تور ابن سير بيلينوري، وسير بوديماجوس ابن أخته غير الشقيقة مورجانا لي فاي. وبعد كثير من التروي وإنعام النظر، خلص آرثر إلى أن أعمال سير تور العظيمة في الفروسية جعلته أجدر بالمقعد.

وعند سماع هذا الخبر، وثبت مورجانا لي فاي من على مقعد قريب كانت تجلس عليه وصرخت: «ماذا؟ أتؤثر سير تور على سير بوديماجوس ابني، ابن أختك؟»

اعتذر آرثر، غير أنه لم يتراجع عن قراره، فقد شعر أن هذا هو القرار الصائب. غير أن مورجانا لي فاي وبوديماجوس ظلَّا مستاءين وغادرا المملكة. رحل بوديماجوس سعيًا وراء مغامرات مختلفة وذهبت مورجانا لي فاي سعيًا للثأر من بعيد.

وإذ كان آرثر لا يعرف ما تضمره له أخته غير الشقيقة، ودعها وداعًا لائقًا إلى جزيرة أفالون. وكانت مورجانا تملك قوى سحرية معينة، كان قد علمها إياها ميرلين عندما كانت لا تزال فتاة صغيرة جميلة. شيء واحد لم يعلمها إياه، هو كيف تعرف

المستقبل. غير أنها كانت على يقين من أنها لن تستطيع أن تثأر من آرثر ما دام ميرلين موجودًا.

لكن مورجانا لي فاي دبرت خطة؛ فقد عثرت على فتاة جميلة اسمها فيفيان لا يعرف قلبها الرحمة، فكانت باردة وقاسية تجاه كل أولئك الذين لا يرضخون لها. وكانت مورجانا تعلم أيضًا أن فيفيان تلتمس الحكمة بشغف شديد.

وعدتها مورجانا قائلة: «يمكنني أن أساعدك في امتلاك المعرفة التي تسعين وراءها.» وشرحت لها أن ميرلين، مع كل هذه القوى الخارقة التي يتمتع بها، فإن لديه نقطة ضعف كبيرة للغاية، ألا وهي عشقه للجمال. كما أفشت مورجانا أيضًا سر ميرلين الكبير؛ فمع أنه يستطيع أن يرى مستقبل أي شخص آخر، فهو لا يستطيع أن يرى مستقبل نفسه.

أقسمت فيفيان قائلة: «لأخدعنَّ ميرلين بجمالي! لأجعلنَّه يعلمني كل شيء! وعندما أملك كل حكمته وقوته السحرية، فسأسحره حتى يصبح عاجزًا.»

قالت مورجانا لي فاي: «يا لروعة هذا الشر!»

أرسلت مورجانا فيفيان ومعها سلاح خفي: خاتمان من شأنهما أن يوحدا قلبي من يرتديانهما إلى الأبد. ذهبت فيفيان إلى بلاط الملك آرثر وسط إحدى الحفلات، وبعد أن ارتدت خاتمًا من الخاتمين، قدمت الخاتم الآخر في صورة تحدٍّ؛ إذ قالت إن أحكم الرجال وأكثرهم أهمية هو وحده من يستطيع أن يرتدي الخاتم.

حاول الملك آرثر أولًا، لكن الخاتم انكمش عندما لمسه حتى إنه لم يدخل في طرف إصبعه. وحاول جميع الفرسان الآخرين بالمثل، لكن الحظ لم يحالف أيًّا منهم. وأخيرًا وقفت فيفيان أمام ميرلين، الرجل الوحيد في القاعة الذي لم يجرب الخاتم بعد.

كان ميرلين مرتابًا، غير أنه لا يستطيع رؤية المستقبل إذا كان يتعلق به شخصيًّا، وكانت فيفيان في غاية الجمال. جرب ميرلين الخاتم فوجد أنه مقاسه، فابتهج وشعر بالزهو. غير أنه عندما حاول أن يخلعه، علق في إصبعه كما لو كان الخاتم جزءًا لا يتجزأ من لحمه.

أدرك ميرلين في الحال أنه خُدِع. لكن المفعول السحري للخاتم بدأ يعمل سريعًا جدًّا حتى إنه نسي كل شيء باستثناء صِبا فيفيان وجمالها.

سألها ميرلين: «كيف أبرهن لكِ على حبي؟»

ردت فيفيان: «يمكنك أن تمنحني حكمتك وتعلمني سحرك.»

وهذا بالضبط ما فعله الساحر العجوز المريض بالحب.

استغرق الأمر وقتًا طويلًا، لكن فيفيان كانت صبورة. وأخيرًا تعلمت كل شيء يعرفه ميرلين، بما في ذلك كيفية بناء قلاع من لا شيء سوى الأرض والرياح والنار والسماء، ثم جعل كل هذا يختفي مرة أخرى بتلويحة من عصا سحرية.

وفي يوم من الأيام أحضرت فيفيان وجبة شهية لميرلين، ولم يدرك ميرلين أن الوجبة تحتوي على جرعة منوم قوية، فأكل وبدأ يشعر بنعاس شديد.

أدرك ميرلين مرة أخرى أنه خُدع، ولكن هذه المرة لم يستطع حبه لفيفيان أن يلهيه. وقبل أن يغط في النوم، طلب من فيفيان أن تذهب وتنقذ الملك آرثر من بعض الأخطار الآتية التي استطاع ميرلين أن يرى أنها وشيكة الحدوث. اجتاح فيفيان شعور غريب بالذنب لذا وعدته أنها سوف تذهب لإنقاذه، ظنًّا منها أن هذا قد يخفف من ذنبها، وراح ميرلين في النوم.

وما إن راح ميرلين في النوم وأصبح خائر القوى تمامًا، حتى سلبته فيفيان كل قوته، فقد نسجت شبكة فضية حوله، من ثم لم يستطع أن يحرك عضلة واحدة، حتى بعد أن أفاق من نومه. وابتسمت فيفيان فيما انتزع خدمها شعر لحية وشارب ميرلين. وأخيرًا، كي تتأكد من أن ميرلين سيظل في مكانه، وضعته في صندوق ضخم ثقيل ودفنته جزئيًّا وغطته بضباب سحري.

وهكذا كانت النهاية المخجلة لرجل عجوز شديد الحكمة ولكنه شديد الضعف أيضًا.

الفصل الثاني

في تلك الآونة عادت مورجانا لي فاي إلى بلاط الملك آرثر متظاهرة بالتواضع والندم تطلب العفو الأخوي. وعندئذ دار حوار ودي بينها وبين الملك آرثر حول سيف «إكسكاليبور».

قالت مورجانا: «أود أن ألقي عليه نظرة عن كثب أكثر من ذي قبل، أتسمح لي؟»

سار الملك آرثر نحو إكسكاليبور الذي كان موضوعًا في مكان يليق به في أحد الأركان، وأخذ السيف وغمده وسمح لمورجانا أن تتفرس فيهما. وذكرها — كما أُذكرك الآن عزيزي القارئ — أن النصل السحري لا مثيل له في القطع، وأن الغمد يصون من الجرح أي شخص يرتديه.

تنهدت مورجانا وقالت: «أوه يا أخي، إكسكاليبور غاية في الجمال، ولا يمكنني أن أتحمل أن أعيده بعد، أيمكنني أن آخذه معي إلى منزلي وأحتفظ به وقتًا قصيرًا فحسب حتى يمكنني أن أتأمل جماله وقتًا أطول؟»

تردد آرثر، غير أنه كان يشعر بالامتنان الشديد بسبب عودة علاقتهما الطيبة مرة أخرى حتى إنه وافق أخيرًا. لم يكن يعرف أن مورجانا المخادعة ما كانت ستأخذ السيف إلى منزلها للنظر إليه فقط، وإنما لتستأجر صائغين وصُناع دروع وجواهرجية لصناعة نسخة طبق الأصل من السيف. ولن يستطيع أحد سواها أن يكتشف الفرق بمجرد النظر إلى السيف.

وبعد ذلك بوقت قصير، عادت مرجانا إلى البلاط الملكي مرة أخرى. وبعد أن رحب بها الملك آرثر ترحيبًا حارًّا سألها عن إكسكاليبور.

قالت مورجانا: «لقد نسيت أن أحضره معي، إذ كان يتملكني الحماس الشديد من أجل الهدية الأخرى التي أحضرتها لك.» وأخبرته عن الجواد الأسود الجديد الجميل الذي ينتظره بالأسفل. ولما كان آرثر يخطط للخروج في رحلة صيد، كانت الهدية مناسبة

تمامًا. وبعد أن طلب من أخته أن تحضر السيف المرة القادمة، شكرها على الهدية وانطلق في رحلته.

كان الجواد سريعًا للغاية وهو يطارد كلاب الصيد والأرانب الوحشية، حتى إنه سبق جياد الجميع فيما عدا جوادًا يخص صديق آرثر سير أكالون من جول. وسرعان ما وجد الرجلان أنفسهما وحدهما تائهين في مكان بعيد من الغابة أشجاره متشابكة بكثافة. قررا أن يتبعا غرائز جواديهما في قيادتهما إلى منزلهما أو على الأقل إلى مكان آمن آخر. وتصدر جواد آرثر المسير وسافر الرجلان طوال الليل.

وفي الصباح التالي انطلق الجوادان عبر الغابة ثم توقفا عند شاطئ يطل على بحر هادئ. وفي الأفق رأى الرجلان سفينة ذات أشرعة حريرية أنيقة تسير باتجاههما بسرعة.

وعلى متن السفينة وقفت اثنتا عشرة امرأة فائقة الحسن يلوحن لهما. صاحت النسوة: «هيا، اصعدا إلى متن السفينة. قطعًا أنتما جائعان وظمآنان ومتعبان!»

قال الملك آرثر: «ماذا عسانا أن نخسر؟ لعلها تكون مغامرة عظيمة أخرى.» وافقه سير أكالون الرأي، وصعدا إلى متن السفينة.

وفجأة بدأت السفينة تتحرك بعيدًا عن الشاطئ. اضطرب الرجلان، لكن سرعان ما لهتهما النساء، ونعما بأمسية ممتعة. وفي آخر الليل، سمحا للنساء أن يقدنهما إلى أماكن النوم حيث سيقضيان ليلتهما.

عندما فتح آرثر عينيه ظن أنه لا يزال يحلم؛ إذ وجد نفسه في زنزانة حجرية مظلمة كئيبة. ورأى حوله العديد من الفرسان يتأوهون في حالة مؤسفة.

شرح له أحد الفرسان أن من سجنهم هو فارس يُسمى سير دوماس. فعندما مات والد سير دوماس ترك له ولأخيه الأصغر، سير أونتزلاك، ضيعة كبيرة. غير أنه بمرور السنين سلب سير دوماس أخاه الأصغر كل شيء تقريبًا فيما عدا قلعة واحدة صغيرة.

قال الفارس: «وقد أراد الحصول على هذه القلعة الأخيرة، لكنه لا يستطيع الحصول عليها بنفسه ولا يستطيع العثور على فارس يتولى أمر قضيته الجشعة نيابة عنه؛ لذا جميعنا هنا سجناء، فجميعنا رفضنا مساعدته.»

قال آرثر: «سأساعده أنا نظير إطلاق سراحي، لكنني بعدئذ سأعاقبه على ما فعله.»

وعندئذ دخلت امرأة الزنزانة، وعرفها آرثر. إنها واحدة من النساء اللاتي استدرجنه هو وسير أكالون إلى السفينة. سألته المرأة: «سمعتك تقول إنك ستساعد سير دوماس في قضيته؟»

قال آرثر: «سأتولى قضيته بشرط واحد؛ لا بد أن تعديني بأن تذهبي إلى كاميلوت وتطلبي من مورجانا لي فاي أن ترسل إليَّ سيفي الذي تحتفظ به.»

ضحكت مورجانا لي فاي عندما سمعت الرسالة لأنها هي بالطبع من دبر الأمر برمته. وتعالت ضحكاتها أكثر عندما أعطت المرأة السيف المُقلد وليس إكسكاليبور الحقيقي.

وحدث أنه عندما فتح سير أكالون عينيه لم يجد نفسه في زنزانة، وإنما في سرداق غامض يحرسه قزم قبيح الصورة. أخبر القزم سير أكالون أن هذا السرداق هو ملك الليدي جومين الشقراء، التي دعت سير أكالون إلى الإفطار.

وبالطبع كانت الليدي تعمل بالمثل لصالح مورجانا لي فاي. وفيما كانا يتناولان الطعام، أخبرت الليدي جومين سير أكالون بقصة حزينة بشأن فارس نبيل اسمه سير أونتزلاك، الذي كان له أخ أكبر شرير.

قالت الليدي جومين باكية: «لم يكتف سير دوماس بتجريد سير أونتزلاك من كل ممتلكاته، وإنما وجد فارسًا الآن كي يسلبه آخر شيء يمتلكه، وهو قلعته الأخيرة المتبقية. ولا يستطيع سير أونتزلاك أن يدافع عن نفسه لأنه جُرح مؤخرًا في إحدى المعارك. أرجوك يا سيدي، هلا ساعدته؟»

قال سير أكالون: «كنت سأساعده بكل سرور، لكنني لا أملك سلاحًا.»

ابتسمت الليدي جومين وقالت إنها ستعود في الحال، فعادت تحمل شيئًا ملفوفًا في وشاح قرمزي. وعندما فتحه سير أكالون شهق شهقة عالية.

صرخ أكالون وهو يحمل سيفًا يستحيل أن يعرف أنه إكسكاليبور الحقيقي: «سيدتي، هذا السيف مطابق تمامًا لسيف صديقي وملكي آرثر!»

وهكذا دُبر الأمر بحيث يتقاتل آرثر وسير أكالون، على أن يكون إكسكاليبور الحقيقي مع سير أكالون، والسيف المزيف مع الملك آرثر. ولمّا كان كل منهما يرتدي زي القتال بلون زي الرجل الذي يحارب من أجله، لم يتمكن أحدهما من رؤية وجه الآخر، ومن ثم لم يدرك كل منهما أنه يقاتل الآخر.

وصلت فيفيان في الوقت الذي بدأت فيه المعركة بالضبط، ومع أن مهمتها كانت إنقاذ الملك آرثر، لم تستطع أن تعرف في الحال أي فارس هو. غير أنه سرعان ما أصبح جليًّا للعيان أنه لا بد أن يكون آرثر هو الفارس الواقع في ورطة كبيرة، وحقًّا كان آرثر في محنة كبيرة؛ فسيفه المزيف لم يكد حتى يحدث خدشًا واحدًا في جسد خصمه، في حين

قطع سيف خصمه قطعًا غائرًا في جسده. علاوة على أن غمد سيفه الذي كان يحميه في الماضي من أي جروح بدا غير فعال، فيما تدفق الدم بقوة من جسده.

كان سير أكالون على وشك أن يقضي على الملك آرثر حينما تقدمت فيفيان وألقت تعويذة فأطاحت بسيف إكسكاليبور من يده. ركض آرثر كي يلتقط إكسكاليبور الحقيقي مدركًا في الحال أن هذا هو سيفه الحقيقي. وعندما أمسك بالغمد الذي سقط من أكالون أيضًا، توقف نزف كل جروحه. وفي الحال تقريبًا، بدأ سير أكالون ينزف بدلًا منه. وقبل أن يفقد سير أكالون الوعي على إثر فقدان الدماء، نزع عنه خوذته فرأى آرثر وجه صاحبه.

حاول آرثر أن يساعده، لكنه كان قد فقد بالفعل قدرًا كبيرًا من الدماء وصار واهنًا للغاية. واستخدمت فيفيان سحرها لشفاء آرثر كما وعدت، لكنها رفضت أن تساعد سير أكالون الذي مات بعد حين. أعطى آرثر — الذي تملكه الحزن الشديد وما زال لا يفهم ما حدث — كل ثروة سير دوماس (فيما عدا قلعة صغيرة) لسير أونتزلاك وعندئذ عاد إلى وطنه.

بعدها بفترة، جاءت مورجانا لي فاي وهي مضطربة لزيارة آرثر يساورها القلق الشديد من أن يكون قد انكشف أمرها. لكن عندما وصلت، كان آرثر نائمًا، فتسللت إلى غرفته وقررت أن تحاول أخذ إكسكاليبور مرة أخرى. لكن لأن آرثر كان يضع السيف تحت وسادته وهو نائم، لم تستطع أن تسرق سوى الغمد.

وعندما استيقظ آرثر من نومه ووجد الغمد مفقودًا وعلم أن أخته كانت هنا، أدرك أخيرًا أنها هي التي كانت وراء كل المحن التي مرّ بها مؤخرًا.

عرضت فيفيان أن تساعد آرثر في القبض على مورجانا لي فاي، ووافق آرثر. لكن قبل أن يتمكنا من الإمساك بها، كانت مورجانا قد ألقت بالغمد بالفعل في منتصف بحيرة واسعة. وبينما كانت تفعل هذا، بزغت من البحيرة ذراع بيضاء مغطاة بالعديد من الأساور الذهبية، فأمسكت بالغمد وجذبته تحت الماء إلى أغوار البحيرة إلى حيث لن يرتفع مرة أخرى.

ولمّا شعرت مورجانا بأن فيفيان وآرثر وراءها، تنكرت هي وحاشيتها، إذ حولتهم جميعًا إلى مجموعة من الصخور والأحجار الملقاة على الأرض. وعند وصول آرثر وفيفيان، شعرت فيفيان في التو بالسحر وعرضت أن تُعيد جميع الرجال مرة أخرى شريطة أن يعدها آرثر بقتل مورجانا عقابًا لها.

لكن آرثر رفض وعنفها أمام أعين بعض الأشخاص، فمورجانا هي أخته بالرغم من كل ما حدث. ابتسمت فيفيان ونعتت آرثر بالأحمق، وأخبرته في سرور بما حلَّ بصديقه العزيز ميرلين. وعندئذ غادرت المكان. ومن ذلك الحين فصاعدًا، أضمرت فيفيان مشاعر الكره والضغينة لآرثر لأنه رفض طلبها أكثر مما أضمرت له مورجانا.

وهكذا انتهت قصة وجود ميرلين في حياة آرثر.